المحاضرة: التعريف بسورة عبس وتفسير المحورين الأول والثاني من السورة

أولا التعريف بالسورة

أسماء السورة:

أشهر أسمائها هو سورة "عبس" لذكر لفظ {عَبَسَ} فيها.

وذكر لها عدة أسماء أخرى منها: "سورة السفرة"، وسميت "الصاخة"، ومن أسمائها " النافخة"، وتسمى أيضا "الصاخبة"، وسميت: سورة "ابن أم مكتوم"، وتسمى سورة "الأعمى" [1].

مكان نزولها وعدد آياتها والمنسوخ منها:

أما مكان نزول سورة عبس فهي سورة مكية بالإجماع؛ أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة عبس بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله [2] .

وأما عدد آيها وكلماتها وحروفها: فهي أربعون آية في الشامي، وإحدى وأربعين في عدد أبي جعفر والبصري، واثنتان وأربعون في عدد الباقين[3] .

وأما المنسوخ منها:

فقد ذكر الإمام ابن حزم أن سورة "عبس" كلّها محكمة إلا قوله تعالى: (كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره ...) نسخت بقوله في سورة التكوير (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين)[4].

ولكن الصحيح أن هذا ليس نسخا بل هو نوع التخصيص.

سبب وزمن نزول السورة:

أما سبب نزولها:

فقد تتابعت كتب التفسير والسنة على القول بأنه نزلت في ابن أم مكتوم ، فعن عائشة ﵂؛ قالت: أُنزلت {عَبَسَ وَتَوَلَّى } في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا رسول الله! أرشدني، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: "أترى بما تقول بأساً؟ "، فيقول: لا؛ ففي هذا أنزل[5] . قال أنس بن مالك: فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه [6] .

وابن أم مكتوم أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ مَقْدَمِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا، وَتُوفِيَ بِالْقَادِسِيَّةِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ؛ وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ وَآيَةٌ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ [95] .

وَكَانَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَقَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي خُرُوجِهِ إِلَى الْغَزَوَاتِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَكَانَ مُؤَذِّنَ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ[7].

وقال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم من الوحي شيئًا كتم هذا عن نفسه؛ قال: وكان يتصدّق لهذا الشريف في جاهليّته رجاء أن يسلم، وكان عن هذا يتلهّى[8] .

وأما زمن نزولها:

فقد كان نزولها بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر» ، وقد نزلت سورة النجم فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة عبس في ذلك التاريخ أيضا، وتعتبر سورة

---

[1] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (31/ 114)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (21/ 249) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (9/ 404) التحرير والتنوير (30/ 89)

[2] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (31/ 114)

[3] البيان في عد آي القرآن (ص: 264)؛ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (3/ 156)

4 الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص: 64)

5 رواه الترمذي في سننه، كتاب:تفسير القرآن، باب: ومن سورة عبس، برقم: 3651.

[6] أما سبب نزولها: تفسير السمعاني (6/ 155)

[7] التحرير والتنوير 30/ 104

[8] تفسير الطبري (24/ 219)

"عبس" السورة الثالثة والعشرون في ترتيب النزول، أما في ترتيب المصحف فهي السورة الثمانون [9] .

رابعا: مناسبة السورة لما قبلها:

مناسبة سورة "عبس" للسور التي قبلها (النازعات): أن الله سبحانه وتعالى ذكر في ما قبلها أنه صلى الله عليه وسلم منذر من يخشاها، وذكر في هذه حال من ينفعه الإنذار من عباد الله المخلصين، فيسعى إلى الخير بنفسه، وذكر حال من لا ينفعه الإنذار وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيهم في أمر الإسلام، ويدعوهم إليه [10] .

قال سعيد حوى:" ويلاحظ أن هناك تشابها بين سورة النازعات وسورة عبس، ففي أواخر سورة النازعات يرد قوله تعالى: فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى وفي أواخر سورة عبس يرد قوله تعالى: فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ ... ، وفي سورة النازعات يرد قوله تعالى: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً ... وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها* أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها وفي سورة عبس يرد قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ ...

وفي سورة النازعات يرد قوله تعالى: هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى ... وفي سورة عبس يرد قوله تعالى: وَما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى* وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى وَهُوَ يَخْشى. إنك لتجد التشابه في الجرس بين السورتين.

وسورة النازعات تنتهي بقوله تعالى: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها ... وفي بداية سورة عبس عتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يعرض عمن يخشى وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى * وَهُوَ يَخْشى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى فسورة عبس تبدأ بعتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يعرض عمن يخشى، ويقبل على من لا يخشى، فالصلة واضحة بين نهاية سورة النازعات وبداية سورة عبس. " [11] .

المحور الأساس للسورة والمحاور الفرعية لها:

أما المحور الأساس للسورة فهو: كسائر موضوعات السور المكية التي تعنى بالعقيدة والرسالة والأخلاق التي قوامها في الإسلام المساواة بين الناس، دون تفرقة بين غني وفقير.

القصد الأهم في التعليم وفي تبليغ الرسالة إنما هو تعليم من جاء يسعى، وهو يرغب ويخشى، ومثل هذا تنفعه الذكرى، فيزكى من كلّ ما يشين خلقه أو يمس دينه، ومثل هذا الخاشع الخاضع ينذره الرسول ﷺ ويبشره ويذكره، فيذكر ويشكر، ويصبر ويصابر حتى يلقى الله سبحانه وهو على ذلك [12] .

وأما المحاور الفرعية فهي ستة:

المحور الأول: الآيات (1-10) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾ [عبس: 1-10] : المساواة في الإسلام: حيث بدأت السورة بعتاب النبي صلى الله عليه وسلم على ما كان منه من إعراضه عن ابن أم مكتوم وعبوسه في وجهه .

المحور الثاني: الآيات (11-16) ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾ [عبس: 11-16] القرآن موعظة وتذكرة و شرف وموعظة لمن عقل وتدبر. وهو محفوظ مصون (كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) الآيات.

---

[9] التفسير الوسيط لطنطاوي (15/ 281)الموسوعة القرآنية خصائص السور (11/ 73)

[10] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (31/ 114)

[11] الأساس في التفسير (11/ 6371)

[12] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (31/ 114)

المحور الثالث: الآيات (17-23) ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: 17-23] **:** جحود الإنسان وكفره بنعم ربه وإعراضه عن هداية الله.

المحور الرابع: الآيات (24-32) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس: 24-32] **:** إقامة الأدلة على قدرة الله ووحدانيته بخلق الإنسان والنبات وتيسير طعام ابن آدم وشرابه، لإثبات القدرة على البعث.

المحور الخامس: الآيات (33-42) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ [عبس: 33-42] **:** ختمت السورة بوصف أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه، وبيان حال المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء [13].

[13] التفسير المنير - الزحيلي 30/ 57 التفسير الوسيط - مجمع البحوث (10/ 1781)

تفسير المحور الأول.

الآيات (1-10): المساواة في الإسلام **المحور الأول: الآيات (1-10) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾ [عبس: 1-10]**

أولا: مناسبة الآيات للسورة التي قبلها:

لما قال سبحانه في السورة السابقة: **"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى "**، وقال بعد ذلك **"إنما أنت منذر من يخشاها"**، افتتحت هذه السورة بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكرة والخشية وإن كانوا في دنياهم ذوي خمول لا يؤبه لهم فهم عنده سبحانه في عداد من اختاره لعبادته وأهَّله لطاعته وإجابة رسوله ﷺ، وأعلى منزلته لديه كما في الحديث **"رُبَّ أشعثَ أغْبَرَ لا يؤْبَهُ به لَوْ أقْسَمَ على الله لَأَبَرَّهُ"**[14]، ومنهم ابن أم مكتوم الأعمى ﷺ مؤذن رسول الله ﷺ وهو الذي بسببه نزلت السور ة[15] .

ثانيا: غريب الألفاظ الواردة في الآيات:

1- { عبس }: عبس أي: قطب وجهه، والعبوس: قطوب الوجه لضيق الصدر . كما قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً [الْإِنْسَان: 10]. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ [المدثر/ 22] [16]؛ قال الليث: (عَبَس يَعْبِسُ فهو عَابس، إذ قطَّب ما بين عينيه، فإن أبدى (10) عن أسنانه في عبوسته، قيل: كلح فإن اهتم لذلك. وفكر فيه، قيل: بسر، فإن غضب مع ذلك قيل: بسل. [17]

2-- **{وتولى}:** التولي إذا عدّي بـ (عن) لفظا أو تقديرا اقتضى معنى الإعراض؛ فالمعنى"تولى عنه" أي: أعرض وترك قربه؛ وَالتَّوَلِّي: قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار[18].

أما إذا تعدى فعل "تولى" بنفسه فيكون بمعنى النصرة والولاء كما قال تعالى ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: 196] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]

(وَمَا يُدْرِيكَ) مُرَكَّبَةٌ مِنْ (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَفِعْلِ الدِّرَايَةِ{درى} اقترن بِهَمْزَةِ التَّعْدِيَةِ فصار "أدرى"، أَيْ مَا يَجْعَلُكَ دَارِيًا أَيْ عَالِمًا. وَمِثْلُهُ: مَا أَدْرَاكَ كَقَوْلِهِ: وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ [الْحَاقَّةُ: 3] .وَمِنْهُ وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ [109] [19]..

الدّراية: المعرفة المدركة بضرب من الحيل، وكلّ موضع ذكر في القرآن وَما أَدْراكَ ، فقد عقّب ببيانه. وكلّ موضع ذكر فيه: وَما يُدْرِيكَ لم يعقّبه بذلك، نحو: وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى [عبس/ 30] ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ[20]..

{يزكى} والأصل فيها: يتزكى فأدغمت التاء في الزاي كما أدغمت في الذال نحو " يذكرون" في **"**يتذكرون"، ومعناه: يَتَطَهَّرُ من ذنوبه، ومن دَنَسِ الجهلِ . يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، والانتفاع بما يتعلم منك[21].. .

{أو يذكر} وَالتَّذَكُّرُ: حُصُولُ أَثَرِ التَّذْكِيرِ، فَهُوَ خُطُورُ أَمْرٍ مَعْلُومٍ فِي الذِّهْنِ بَعْدَ نِسْيَانِهِ إِذْ هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الذِّكْرِ بِضَمِّ الذَّالِ[22].

{الذكرى} وَالذِّكْرَى: اسْمُ مَصْدَرِ التَّذْكِيرِ؛ العظة المسموعة منك. وَالذِّكْرَى: هُوَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ يُذَكِّرُ النَّاسَ بِمَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ قَالَ تَعَالَى: وَما هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ [الْقَلَم: 52] فَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلَ

---

[14] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم: 7369.

[15] البرهان في تناسب سور القرآن (ص: 356)

[16] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (3/ 24) المفردات في غريب القرآن ص544 التحرير والتنوير 30/ 104

[17] التفسير البسيط 22/ 429

[18] التفسير البسيط 23/ 209 التحرير والتنوير 30/ 104 المفردات في غريب القرآن ص887

[19] التحرير والتنوير 30/ 105

[20] المفردات في غريب القرآن ص313

[21] التفسير البسيط 23/ 211 ، المفردات في غريب القرآن ص381

[22] التحرير والتنوير 30/ 106

عَنْهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ. والذِّكْرَى: كثرة الذّكر، وهو أبلغ من الذّكر﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: 55]

{أما} وَ (أَمَّا) حَرْفُ تَفْصِيلٍ وَشَرْطٍ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى: مَهْمَا يَكُنْ شَيْءٌ[23]..

{استغنى} الِاسْتِغْنَاءُ: عَدُّ الشَّخْصِ نَفْسَهُ غَنِيًّا فِي أَمْرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ قَوْلٌ، أَوْ فِعْلٌ أَوْ عِلْمٌ، فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلْحُسْبَانِ، أَيْ حَسِبَ نَفْسَهُ غَنِيًّا، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ الِاسْتِغْنَاءُ فِي التَّكَبُّرِ وَالِاعْتِزَازِ بِالْقُوَّةِ.

فَالْمُرَادُ بِ {مَنِ اسْتَغْنى} هُنَا: مَنْ عَدَّ نَفْسَهُ غَنِيًّا عَنْ هَدْيِك؛ قال عطاء: يريد عن الإيمان اسْتَغْنى أي بماله. بالمال والجاه والقوة عن سماع القرآن[24].

{تصدى} تَصَدَّى معناه: معناه تتعرض له، وتميل إليه، وتقبل عليه، يقال: تصدى فلان لفلان يتصدّى، إذا تعرض له، وهو ما استقبلك فصار قُبَالَتَك.

يُقال: تَصَدَّى، أي: تَعَرَّضَ وأصلُه تَصَدَّدَ من الصَّدَدِ، وهو ما استقبلك وصار قُبالتَك؛ فصدى أصله: صدد.

وقيل: هو من الصَّدى؛ وقيل: من الصَّدى وهو العطش؛ لكنه أقوال: ضعيف[25].

{وما عليك} والمعنى: أي شيء عليك في أن لا يسلم[26]..

3- {يسْعَى} المشي السّريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر، خيرا كان أو شرّا.والمعنى هنا: يُسْرِعُ في طَلَبِ الخيرِ من العِلْمِ والهُدَى . وأكثر ما يستعمل السَّعْيُ في الأفعال المحمودة[27].

{يخشى} وَهُوَ يَخْشى الله تعالى؛ والخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[28].. ».

5- {تلهّى}: تشاغل؛ يقال تلهيت عن الشيء ولهيت عنه؛ إذا شغلت عنه فتركته[29]

القراءات الواردة في الآيات:

{فتنفعه} قرأ عاصم بنصب العين، وغيره برفعها . نصب العين بأن مضمرة بعد الفاء على جواب الترجي ؛ وقيل في جواب التمني المفهوم من {أو يذكر}، والباقون بالرفع عطفا على يذكر[30].

{تصدى} شدّد الصاد المدنيان والمكي،أدغموا التاء الثانية في الصاد تخفيفا، والباقون بالتخفيف فحذفوا التاء الأولى[31].

{أن جاءه الأعمى} هكذا بهمزة واحدة "أن" في القراءات المتواترة.

وفي القراءات الشاذة قرأ الحسن البصري بالمد **"آنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى"**[32]، على الاستفهام الانكاري.

بلاغة الآيات:

1- أسلوب التشويق في افتتاح هذه السورة بفعلين {عبس وتولى} متحملين لضمير لا معاد له في الكلام، والفعلان يُشعران بأن المحكي حادث عظيم.

2- حذف متعلق (تولى) لظهور أنه تول عن الذي مجيئه كان سبب التولي .

---

[23] التحرير والتنوير 30/ 91

[24] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 437التفسير البسيط 23/ 213 التحرير والتنوير 30/ 107 التفسير المنير - الزحيلي 30/ 60

[25] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 687 المفردات في غريب القرآن ص481 تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 437 مقاييس اللغة 3/ 341 التفسير البسيط 23/ 214 التفسير البسيط 23/ 214

[26] التفسير البسيط 23/ 215

[27] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 437المفردات في غريب القرآن ص411

[28] «المفردات في غريب القرآن» (ص283):

[29] التبيان تفسير غريب القرآن (ص: 449)، إعراب القرآن وبيانه (10/ 375(المفردات في غريب القرآن ص748. التفسير البسيط 23/ 216 تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 437

[30] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص572

[31] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص572

[32] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/ 352)

وَعُبِّرَ عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ بِالْأَعْمى تَرْقِيقًا لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ الْعِتَابُ مَلْحُوظًا فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ صَاحِبَ ضَرَارَةٍ فَهُوَ أَجْدَرُ بِالْعِنَايَةِ بِهِ، لِأَنَّ مِثْلَهُ يَكُونُ سَرِيعًا إِلَى انْكِسَارِ خَاطِرِهِ[33].

3- اختلف ما الغرض البلاغي في استعمال صيغة الخبر بدل الخطاب في هذا العتاب:

القول الأول: قالوا الغرض منه تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم والتلطف في عتابه لئلا يفاتح نبيه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام فَلَمْ يَقُلْ: عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمُوَاجَهَةِ الْخِطَابِ. وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ [التَّوْبَة: 43]؛ ثُمَّ جِيءَ بِضَمَائِرِ الْخِطَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ[34]...

القول االثاني: أنه لم يخاطبه معاتبة له فهو دليل على زيادة الإنكار؛ كأنه لما فعل هذا الأمر أعرض عن خطابه لوما له[35].

6 معنى الترجي الذي يعطيه {لَعَلَّهُ} تمهيد عُذر له صلوات الله عليه، جبراً لذلك الخطاب المشتمل على التوبيخ، يعني: أعذرناك لأنك حريص على إسلام القوم، فأدى اجتهادك إلى أن تُقبل عليهم وتُعرض عن الأعمى، ولو دريت ذلك ما فرطت ذلك[36].

- **(يَذَّكَّرُ والذِّكْرى)** جناس اشتقاق .

8- **(عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)** سجع مرصع .

9- (تَصَدَّى تَلَهَّى) بينهما طباق[37].

11- تقديم ضميره ﷺ، وهو {أَنْتَ} على الفعلين في الموضعين تنبيهًا على أن مناط الإنكار خصوصيته {فأنت عنه تلهى} {فأنت له تصدى}؛ أي: مثلك خصوصًا لا ينبغي له أن يتصدى للمستغني، ويتلهى عن الفقير الطالب للخير[38] .

إعراب الآيات:

قوله تعالى {عبس وتولى} فاعلهما مستتر تقديره "هو"، يعود على غير مذكور يفهم من السياق بعده إجلالا له عليه الصلاة والسلام ولطفا به لما في المشافهة

. **"أن جاءه"** في موضع نصب مفعول لأجله أي لأن جاءه الأعمى . {أَن جَآءَهُ} : فيه وجهان، أحدُهما: أنه مفعولٌ من أجلِه، وناصبُه: إمَّا «تَوَلَّى» ، وإمَّا «عَبَسَ». والتقدير: لأَنْ جاءَه الأعمى فَعَلَ هذَيْنِ الفِعلَيْنِ.

. وقيل: «أَنْ» بمعنى «إذ»[39].

{وما يدريك لَعَلَّهُ يزكى} فيها إعرابان:

أن جملة {يزّكّى} في محل رفع خبر {لعل}.

وقيل إن مفعول {يدريك} الثاني محذوف تقديره وما يدريك أمره ومغبة حالهح فيوقف عليها هكذا {وما يدريك}؟؛ وتكون جملة {لعله يزكّى} ابتدائية[40]..

{وما عليك أَلاّ يزكى} ما نافية، {عليك} في محل رفع خبر مقدم؛ و{يزكى} في محل ررفع مبتدأ، أي: ليس عليك عَدَمُ تَزْكيتِه

ويجوز أن تكون ما استفهامية للإنكار فتكون مبتدأ وعليك خبرها وألا يزكّى[41]..

المعنى الإجمالي للآيات[42]..:

---

33 التحرير والتنوير 30/ 104

34 التحرير والتنوير 30/ 105؛ القرطبي = الجامع لأحكام القرآن 19/ 213

35 تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 436؛ غرائب التفسير وعجائب التأويل 2/ 1307، تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 4/ 701. تفسير القرآن العظيم - السخاوي 2/ 569، تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 452، التفسير المنير - الزحيلي 30/ 59

36 فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) 16/ 2927.

37 التفسير المنير للزحيلي (30/ 59) .

38 تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (31/ 150)

39 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 685

40 إعراب القرآن وبيانه 10/ 375

41 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 688؛ إعراب القرآن وبيانه 10/ 376

{عَبَسَ وَتَوَلّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى} أي قطب النبي صلّى الله عليه وسلّم وجهه، وأعرض، لأن جاءه الأعمى وقطع كلامه، وهو عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، فأعرض عنه، فنزلت.

وعذر ابن أم مكتوم أنه لم يدر بتشاغل النبي صلّى الله عليه وسلّم.

{وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى}؟ أي وما يعلمك ويعرفك يا محمد لعل الأعمى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك، أو يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ، فتنفعه الموعظة؛ وفي هذا إيماء إلى أن غير الأعمى ممن تصدى لتزكيتهم وتذكيرهم من المشركين لا يرجى منهم الهداية. وفيه تعظيم من الله سبحانه لابن أم مكتوم.

وكان هذا التصرف من النبي صلّى الله عليه وسلّم بمثابة ترك الاحتياط وترك الأفضل، فلم يكن ذلك ذنبا البتة، ولا مصادما لمبدأ عصمة الأنبياء، لصدور الفعل عن أمر تابع للجبلّة الإنسانية كالرضا والغضب والضحك والبكاء، والتي رفع عنها التكليف في شريعة الإسلام.

وبعد هذا الوصف المؤذن بالعتاب جاء العتاب صريحا في قوله تعالى:

1 - {أَمّا مَنِ اسْتَغْنى} أي أما من استغنى عما لديك من معارف القرآن والهداية الإلهية، وعن الإيمان والعلم، كما قال تعالى :{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى}]الليل: 8 – 11

{فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى} فأنت تقبل عليه بوجهك وحديثك، وهو يظهر الاستغناء عنك والإعراض عما جئت به.

{وَما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى} أي لا شيء عليك في ألا يسلم ولا يهتدي، فإنه ليس عليك إلا البلاغ، فلا تهتم بأمر هؤلاء؛ ما قال تعالى{وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا}]آل عمران: 176. [؛ وقال سُبحانَه {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}]النور: 54. [؛ وقال عزَّ وجَلَّ{وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ]لقمان: 23[

2 - {وَأَمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى، وَهُوَ يَخْشى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّى} أي وأما من أتى إليك مسرعا في طلب الهداية، وهو يخاف الله تعالى، فأنت تتشاغل عنه وتعرض؛ لذا أمر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ألا يخص بالإنذار أحدا، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والغني والفقير، والسادة والعبيد، أما الهداية فالله يهدي من يشاء.

ثامنا: الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات:

- بيان مقام النبي ﷺ وأنه أشرف مقام وأسماه دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه، ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة يخاطبه وما يدريك.

- بلغ رسول الله ﷺ بتأديب ربه له مستوى لم يبلغه سواه، فقد كان يكرم ابن أم مكتوم، وولاه على المدينة مرات، وكان مؤذناً له في رمضان .

-استحالة كتمان الرسول ﷺ لشيء من الوحي فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لو كان للرسول أن يكتم شيئا من وحي الله لكتم عتاب الله تعالى له في عبس وتولى[43] .

- في الآيات أيضاً دليل على جواز لقب الإنسان بوصفه مثل: الأعمى والأعرج والأعمش، وقد كان العلماء يفعلون هذا، الأعرج عن أبي هريرة، الأعمش عن ابن مسعود ... وهكذا، قال أهل العلم واللقب بالعيب إذا كان المقصود به تعيين الشخص فلا بأس به، وأما إذا كان المقصود به تعيير الشخص فإنه حرام[44] .

- تحقير أمر الكافر وحض على الإعراض عنه وترك الاهتمام به[45] .

---

[42] التفسير المنير - الزحيلي 30/ 62

[43] أيسر التفاسير للجزائري (5/ 518)

[44] تفسير العثيمين: جزء عم (ص: 63)

[45] البحر المحيط في التفسير (10/ 407)

- دل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: " لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة " وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه.
- الآية دليل واضح على وجوب المساواة في الإسلام في شأن الإنذار وتبليغ الدعوة دون تمييز بين فقير وغني.
- بالرغم من أن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر لأنه أبى إلّا أن يكلّم النبي ﷺ حتى يعلّمه، فكان في هذا نوع جفاء منه، بالرغم من هذا عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم لأن الأهم مقدم على المهم، ويستحق التأديب أيضا لأنه كان قد أسلم وتعلّم ما كان يحتاج إليه من أمر الدين، أما أولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا، وإسلامهم سبب لإسلام جمع عظيم[46] .
- هذه الايات فيها تأديب من الله عز وجل للخلق ألا يكون همهم همًّا شخصيًّا بل يكون همهم همًّا معنويًّا وألا يفضلوا في الدعوة إلى الله شريفاً لشرفه، ولا عظيماً لعظمته، ولا قريباً لقربه، بل يكون الناس عندهم سواء في الدعوة إلى الله تعالى[47] ..
- إشارة لمَهَمَّة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهي أنَّ عليه البلاغ، أما الهداية فمن الله، كما قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: 272]، وقال: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور: 54] [48].

المحاضرة:

المحور الثاني: الآيات (11-16)

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)﴾ [عبس: 11-16]

القرآن موعظة وتذكرة و شرف وموعظة لمن عقل وتدبر.

مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر سبحانه عتابه لرسوله في حادث ابن أم مكتوم، قال له {كلا} أي لاتفعل ذلك ثم أردف ذلك ببيان أن الهداية هي تذكرة يقصد بها تنبيه الغافل إلى ما جبل الخلق عليه من توحيده فمن أعرض عن ذلك فإنه معاند[49]، وهكذا القرآن تذكرة لتنبيه الغافلين. فما على المذكر بها غير البلاغ، فمن أقبل عليه فأهلاً وسهلاً، ومن أعرض فبعداً له وسحقاً[50].

غريب الألفاظ الواردة في الآيات:

{كَلَّا}. كلمة ردع وزجر ، والمراد هنا زجر المخاطب عن معاودة مثله، أي لا تفعل مثل ذلك[51]..

{تذكرة} عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ[52] وَالتَّذْكِرَةُ: اسْمٌ لِمَا يُتَذَكَّرُ بِهِ الشَّيْءُ إذَا نُسِيَ، أَيْ فَمَنْ شَاءَ عَمِلَ بِهِ وَلَا يَنْسَهُ[53].

{ فمن شاء ذكره} اختلف على من يعود الضمير في "ذكره"؛ فقيل: يعود على التذكرة أي القرآن:

أَيْ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَذْكُرَ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ ذَكَرَهُ؛ وهو قول جمهور المفسرين فهو نظير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: 19]

وقيل يعود على الله تعالى أي فمن شاء ذكر الله تعالى فيكون نظير قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:

---

[46] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 911)التفسير المنير للزحيلي (30/ 62)
[47] تفسير العثيمين: جزء عم ص62
[48] تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص52
[49] تفسير المراغي (30/ 42) التفسير المنير - الزحيلي 30/ 65
[50] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 21/ 257 التفسير المنير للزحيلي (30/ 65)
[51] التحرير والتنوير 30/ 114 التفسير المنير - الزحيلي 30/ 64
[52] تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر 24/ 107 زاد المسير في علم التفسير 4/ 400 تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن 19/ 215 التفسير المنير - الزحيلي 30/ 64.
[53] التحرير والتنوير 30/ 116

54-56] وهذا قول مقاتل ويروى عن ابن عباس؛ والقول الْأَوَّلُ الذي عليه الجمهور هو أَوْلَى لدلالة السياق[54].
{صحف} وَالصُّحُفُ: جَمْعُ صَحِيفَةٍ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنْ أَدِيمٍ أَوْ وَرَقٍ أَوْ خِرْقَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا الْكِتَابُ.
وفي المقصود بها هنا قولان: أحدهما: أنها اللوح المحفوظ، قاله مقاتل. والثاني: كتب الأنبياء55؛ وهو مبني على الاختلاف في المراد بالسَّفَرة، على قولين:
الأول: أن السَّفَرة الملائكة، وهو قول ابن عباس من طريق العوفي، وابن زيد، ونسبه ابن كثير إلى مجاهد والضحَّاك.
الثاني: أن السَّفَرة القُرَّاء، قاله قتادة من طريق سعيد، وذكر ابن كثير عن وهب بن منبِّه، قال: هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم.
والقولُ الأول أرجح؛ لدلالة قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكرامِ البَررة ...» فوصفَهم بما ورد في هذه الآيات، وحملُه عليه أولى، ثم إن وصفَ المؤمنين في القرآن جاء على صيغة «الأبرار»، لا البرَرَة، مما يُشعر أن المعني بهذا الوصف الملائكة[56].
{مكرّمة}: مؤنّث مكرّم، اسم مفعول من الرباعيّ كرّم، وزنه مُفعّل بضمّ الميم وفتح العين المشدّدة، ومعناها: معظمة موقرة [57] . في صحف شريفة عند الله.[58]
{مرفوعة}: من الرفعة وتحتمل أن تكون معنوية أو حسية على حسب الخلاف في معنى الصحف:
فإذا كان المقصود بها اللوح المحفوظ أو صحف الملائكة فمعنى كونها مرفوعة يصدق عليه كونها مرفوعة أي في السماء السابعة يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، ويحتمل كونها عالية القدر عند الله تعالى
وأما إذا قصد به الصحف كتب الأنبياء فيصدق عليها كونها مرفوعة أي عالية القدر.
وَقِيلَ: مَرْفُوعَةٌ عَنِ الشُّبَهِ وَالتَّنَاقُضِ[59]..
2- {مطهرة}: ومُطَهَّرَةٍ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ طَهَّرَه إِذَا نَظَّفَهُ أي: منزهة عن كلّ دنس، قاله الحسن، وقال أيضا: مطهّرة من أن تنزل على المشركين، وقيل: منزهة عن أيدي الشياطين، لا تمسها إلا أيدي ملائكة مطهرة[60] .
وقيل المقصود: أن لا يمسها إلا المطهرون
3- {سفرة}: اسْمَ جَمْعِ سَفِيرٍ، وَهُوَ الْمُرْسَلُ فِي أَمْرٍ. ويكون المراد الملائكة لأنه السفراء بين الله ورسله أو الرسل أو كتاب الوحي وقراءه لأنهم يبلّغونه
وقيل جمع سافر بمعنى كاتب أي كتبة الوحي، قَالَ الزَّجَّاجُ: وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْكِتَابِ سِفْرٌ (بِكَسْرِ السِّينِ) وَلِلْكَاتِبِ سَافِرٌ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُبَيِّنُ الشَّيْءَ وَيُوَضِّحُهُ يُقَالُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ، إِذَا أَضَاءَ[61].
الأول: أن السَّفَرة الملائكة، وهو قول ابن عباس من طريق العوفي، وابن زيد، ونسبه ابن كثير إلى مجاهد والضحَّاك.
الثاني: أن السَّفَرة القُرَّاء، قاله قتادة من طريق سعيد، وذكر ابن كثير عن وهب بن منبِّه، قال: هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم.

---

[54] التفسير البسيط 23/ 217. تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر 24/ 108. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9/ 109؛ «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» (10/ 689«فتح القدير للشوكاني» (5/ 463):
[55] زاد المسير في علم التفسير 4/ 400 التحرير والتنوير 30/ 116
[56] تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص53
[57] الجدول في إعراب القرآن (30/ 246)، تفسير ابن كثير ت سلامة (8/ 321)
[58] التفسير المنير - الزحيلي 30/ 64
[59] تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر 24/ 108 التفسير البسيط 23/ 218 تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن 19/ 216 زاد المسير في علم التفسير 4/ 400
[60] البحر المحيط في التفسير (10/ 408)، التحرير والتنوير 30/ 116
[61] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 438 تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن 19/ 216 التحرير والتنوير 30/ 117.

والقول الأول أرجح قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: " هِيَ لَفْظَةٌ مَخْصُوصَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَلَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا سِوَاهُمْ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ فِي مُتَنَاوَلِهَا غَيْرُهُمْ. ويؤيده ما في الصَّحِيحِ عنه صلّى الله عليه وسلّم: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكرامِ البَررة ...» فوصفَهم بما ورد في هذه الآيات، وحملُه عليه أولى، ثم إن وصفَ المؤمنين في القرآن جاء على صيغة «الأبرار»، لا البرَرَة، مما يُشعر أن المعني بهذا الوصف الملائكة[62]..

{كِرَامٍ} الكريم: هو الشريف في جنسه، وهو إما من فعيل بمعنى مفعول أي مكرمين يعني أعزاء على الله تعالى معظمين كقوله تعالى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: 26-28] أو فعيل بمعنى فاعل أي كرماء يعني متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم ويرشدونهم فهو من الكرم ضد اللؤم وقد وصف الله الملائكة بهذا الوصف في قوله تعالى: {كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار: 11] [63]..

4- {بررة}: جمع برٍّ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِكَثْرَةِ الْبُرُورِ؛ «فَمَعْنَى بَرَرَةٍ مُطِيعُونَ لِلَّهِ، صَادِقُونَ لِلَّهِ فِي أَعْمَالِهِمْ»[64]

وَالْغَالِبُ فِي اصْطِلَاحِ الْقُرْآنِ أَنَّ الْبَرَرَةَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَبْرَارَ الْآدَمِيُّونَ.[65] .

إعراب الآيات:

قوله تعالىً **"كلا"** حرف ردع وزجر لكل إنسان عن ارتكاب.

إِنَّهَا}؛ أي إن هذه الآيات أو السورة أو القرآن، والتأنيث باعتبار الخبر، وهو قوله: {تَذْكِرَةٌ}؛ أي: موعظة حقها أن تتعظ بها[66].

{ذكره} وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ إِعَادَةَ ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ ذِكْرِ مَعَادِهِ فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ لِأَنَّ شُؤُونَهُ تَعَالَى وَأَحْكَامَهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ لِأَجْلِهَا فَهُوَ مَلْحُوظٌ لِكُلِّ سَامِعٍ لِلْقُرْآنِ، أَيْ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ اللَّهَ وَتَوَخَّى مَرْضَاتَهُ[67]

{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} الجار والمجرور في قوله: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} صفة لـ {صُحُفٍ}؛ أي: في صحف كائنة بأيدي سفرة، أو مكتوبة بأيدي كتبة من الملائكة ينتسخونها من اللوح المحفوظ.

وقيل: الباء متعلقة بـ {مُطَهَّرَةٍ} لأنه لما لم يمسها إلا الملائكة المطهرون، أضيف التطهير إليها لطهارة من يمسها.

والأول أرجح.

بلاغة الآيات:

{فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ} تَعْرِيضٌ بِأَنَّ مَوْعِظَةَ الْقُرْآنِ نَافِعَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ تَجَرَّدَ عَنِ الْعِنَادِ وَالْمُكَابَرَةِ، فَمَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِهَا فَلِأَنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتَّعِظَ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها [النازعات: 45] وَقَوْلِهِ: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ [التكوير: 28] وَقَوْلِهِ:وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [الحاقة: 48] وَنَحْوُهُ كَثِيرٌ[68].

{فِي صُحُفٍ} متعلقٌ بمضمرٍ هُو صفةٌ لتذكرةٌ وما بينهما اعتراضٌ جيءَ به للترغيبِ فيها والحثِّ على حفظِها[69].

وَهِيَ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ تَتَضَمَّنُ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا[70].

---

[62] التحرير والتنوير 30/ 117 تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن 19/ 217 . تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9/ 109 تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص53

[63] تفسير الألوسي = روح المعاني 15/ 245 ؛ تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص53

[64] «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (19/ 217):

[65] التحرير والتنوير 30/ 119 الجدول في إعراب القرآن (30/ 246)

[66] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 12

[67] «التحرير والتنوير» (30/ 115):

[68] التحرير والتنوير 30/ 11

[69] تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9/ 109

[70] البحر المحيط في التفسير 10/ 408

المعنى الإجمالي للآيات:

قوله تعالى **{كلا إنها تذكرة}** **"كلا"**: ردع: أي: لا تعد إلى مثل ذلك **(إِنَّها تَذْكِرَةٌ)** أي: إن السورة أو الآيات السابقة موعظة يجب الاتعاظ بها، والعمل بموجبها، قال ابن كثير: "أي: هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم"[71]، وقال قتادة والسدي يعني: القرآن، فالمعنى: كلا إن آيات القرآن تذكرة وعظة .

{فمن شاء ذكره} أي: فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه . فيكون المعنى: (فمن شاء) أن يذكر هذا القرآن- بأن يأخذه ويتلوه ويعمل به- فعل، كما قال الله تعالى :وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ]الكهف: 29[وقال الله سُبحانَه وتعالى :وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ]الحاقة: 48-49[وقال الله عزَّ وجَلَّ :إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا]المزمل: 19] وكأن النص يقول: أيها الرسول لا يهمنك أمر من لم يذكره فإنه هو الخاسر؛

قوله تعالى**{ في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة}** أي: إن هذا القرآن تذكرة في صحف مكرمة، أي: إنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح، قال سُبحانَه :{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}]البروج: 21-22[قال ابن كثير: أي: معظمة موقرة، **"مَرْفُوعَةٍ"** أي: عالية القدر **"مُطَهَّرَةٍ"** ، قال ابن كثير: أي: من الدنس والزيادة والنقص. وقال النسفي: أي: عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله .

قوله تعالى**{ بأيدي سفرة كرام بررة}** أي: كتبة، قال النسفي: جمع سافر: أي: الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح **"كِرامٍ"** على الله أو عن المعاصي، **"بَرَرَةٍ"** أي: أتقياء، جمع بار، قال ابن كثير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله وبين خلقه، وفسر ابن كثير: الكرام البررة بقوله: أي: خلقهم كريم، حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، كما قال تعالى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: 26-28] وقال كما قال تعالى :{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ]الواقعة: 77 - 79[[72] .

الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات:

1- القرآن الكريم كتاب تذكرة وموعظة وتبصرة للناس جميعا، فمن أراد اتعظ بالقرآن وانتفع به وعمل بموجبه، وهذا دليل على حرية الاختيار .

2- القرآن كتاب جليل عند الله، فهو مثبت مودع في صحف مكرمة عند الله، لما فيها من العلم والحكمة، رفيعة القدر عند الله، مطهرة من كلّ دنس، مصانة عن أن ينالها الكفار، محمولة بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله، وهم كرام على ربّهم، كرام عن المعاصي، يرفعون أنفسهم عنها، مطيعون لله، صادقون لله في أعمالهم، كما قال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [73] .

3- الغالب في اصطلاح القرآن أن البررة الملائكة والأبرار الآدميون، قال الراغب: لأن بررت أبلغ من إبرار إذ هو جمع بر، وأبرار جمع بار، وبر أبلغ من بار كما أن عدلا أبلغ من عادل [74] .

- (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) أَيْ: خُلقهم كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلَاقُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ. وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ.

---

[71] تفسير ابن كثير ت سلامة (8/ 321(

[72] تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (3/ 602)، تفسير ابن كثير ت سلامة (8/ 321)، الأساس في التفسير (11/ 6375- 6376) .

[73] التفسير المنير للزحيلي (30/ 68)

[74] التحرير والتنوير (30/ 104-105)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ".
فآياته مُطَهَّرَةٌ تَجْعَلُ التَّطْهِيرَ لِمَنْ حَمَلَهَا.